جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / اللغة العربية

المرحلة : ماجستير لغة  عربية

المادة: دراسات لغوية قديمة

عنوان المحاضرة: الأصالة والتأثيرفي الدرس اللغوي

التدريسي : الأستاذ الدكتور قاسم خليل إبراهيم

## الأصالة والتأثر في الدرس اللغوي

وجه نفر من الباحثين عنايتهم الى طعن العرب في اصالة دراساتهم اللغوية زاعمين تأثر هذه الدراسات بدراسات الامم الاخرى في مجال البحث اللغوي ويجب ان لا يعزب عنا حين نجد تشابها في الدرس بين امة واخرى وان ذلك لا يعني بالضرورة وجود تأثر معين بين هاتين الامتين كان للسابقة منها اثر في اللاحقة لانه قد تتوفر لدى اكثر الامم الظروف التي تستدعي قيام دراسة من الدراسات او وضع تأليف من التأليف كما ان الابداع والابتكار ليس وقفا على عقل دون اخر او شعب دون اخر وخير مثال على ذلك من ان النقط معروف لدى غير العرب من اليونان والسريان والعبرانيين وغيرهم , وقد دعا الى وضعه عند العرب وعند هذه الامم دواع متشابهة وعلى رأسها صيانة لغة التنزيل من الخطأ في التلاوة ولم يدع احد من هذه الامم تاثيرا في سواها في هذا الشأن .

ومهما يكن فان الدرس اللغوي العربي واجه حملة من التشكيك في تاثره بغيره من دراسات الامم الاخرى وتوجهت مزاعم التاثر في الميادين الثلاثة وهي :

١- علم الاصوات : عني الخليل ، واللغويون العرب من بعده ، بدراسة الحروف من حيث انها اصوات لها مخارج معينة وترتيب عمقي في الحلق ، ووقفوا على آثار تمازجها وتجاورها في النُّطق ، وقالوا بوجود الرابطة الطبيعية بين الاصوات ومدلولاتها[1]، ذاهبين في نشأة اللغة الى انها كانت محاكاة للاصوات الطبيعية. .

---

المقصود بين ترابط الصوت والمدلول في اصل اللغة وبداية نشأتها كانت هناك اراء منهم من ذهب الى ان اصل اللغة من محاكات اصل الطبيعة ومنهم من قال هي تواضع واصطلاح وقد عُنِي القدماء بهذا النوع من الدلالات، فقد أشار إليها الخليل؛ فقال: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصرة وصريراً , فلما وجدوا الاستطالة جعلوا المصدر فيه القوة .

غيـر ان الـدكتور احمـد مختـار عمـر يـرى ان للهنـود اثـراً فـي جوانـب هـذه الدراسـات اللغوية العربية :

أ- فـي ترتيـب مخـارج الحـروف فمـال الـى وجـود "تـأثير هنـدي صـوتي علـى الخليـل لا يتجاوز فكرة الترتيب الصوتي للحروف الهجائية مع البدْء بأعمقها مخرجاً "

ب-فـي الاشـتقاق الكبيـر :- وهـو اتحـاد الالفـاظ فـي صـوتين واختلافهـا فـي الصـوت الثالث .

والحـق ان العـرب سـبقوا ببحـث فلاسـفة اليونـان والرومـان العلاقـة اصـوات الكلمـة بمـدلولاتها فهـل هـي علاقـة رمزيـة ام مجـرد مصـادفة ، وظلـوا يعـالجون ذلـك منقسـمين الـى قسـمين: قسـم يـرى وجـود رابطـة طبيعيـة بـين الاصـوات والمـدلولات ، وقسـم آخـر ينكـر ذلـك ويـرى ان الأمـر اصـطلاح عرفـي وقـد اخـذ بهـذا الـرأي الاخيـر سـقراط وافلاَطـون للاعتقادهما بان صلة الاصوات بالمدلول غامضة غير واضحة في لغة عصرهما .

كمـا سـبق العـرب بدراسـة الهنـود لمخـارج الحـروف وترتيـب عمقهـا فـي الحلـق، ممـا يـدخل فيمـا اصـطلح عليـه بعلـم الاصـوات الوصـفي واخـذوا بنظريـة وحـدة المعنـى بـين الكلمتين او الكلمات المتفقة في حرفين اثنين او حرف واحد فقط .

واكبـر الظـن ان الخليـل لـم يكـن مطلقعـا علـى مـا أنجـزه الهنـود فـي دراسـتهم للأصـوات لانـه لـم يثبـت انـه عـرف الهنديـة القديمـة او وقـف علـى شـيء مـن دراسـتها , وبـدليل علـى ذلـك ان دراسـة الخليـل للأصـوات تختلـف اختلافاً كبيـرا عـن دراسـة الهنـود لهـا , وخاصـة فـي تطبيقـه لدراسـة آثـار نمـاذج الاصـوات وتجاورهـا وحتـى الترتيـب الصـوتي للحـروف وهـي ٥١ حرفـا لـدى الهنـود يختلـف عـن ترتيبهـا لـدى الخليـل , وان مـاذكره الليث في مقدمة العين يوحي بان الخليل كان له جهد خاص وذوق للتميز .

وقـد ذهـب بعـض البـاحثين ايضـاً ان الخليـل وغيـره مـن اللغـويين ، وجـدوا بعـد تقصـيهم للغـة واسـتقرائهم لموادهـا مـا يشـير الـى انهـا كانـت فـي طـور مـن أطوارهـا التاريخيـة ثنائيـة الأصـل، وشـواهدهم علـى ذلـك لا تعـدو القـرآن الكـريم واشـعار العـرب ولغـاتهم

المختلفة ) . واذا كانت مرحلة الأصل الثنائي مما تشترك العربية والسنسكريتية في الرجوع اليها ، فهذا لا يعني انها نقلت إلى العربية على سبيل التقليد والمحاكاة .

## ٢-العمل المعجمي

بكر العرب أيضاً في دراستهم للمفردة العربية ، ووضعوا كتبهم ورسائلهم الخاصة يحصون بها نوعاً معيناً من الالفاظ ، كرسائلهم في الاضداد ، او المترادف ، أو المشترك ، أو غيرها ، كما وضعوا معجماتهم الجامعة لالفاظ اللغة ، وكان رائد المعجمات العين للخليل بن احمد المتوفى سنة ( ١٧٥ هـ ) ، وتوالت بعده معجمات اللغويين ، تختلف في المنهج فيما بينها ، الا ان من الدارسين العرب والمستشرقين من شك او طعن في اصالة هذه الاعمال لدى العرب ، فذهب بعضهم الى وجود تأثير هندي ، او عبري ، وآخر الى وجود تأثير يوناني ، أو أعجمي عام ، وايد آخرون هذا المذهب او ذاك .

## ٣-النحو

لم يسلم النحو العربي ايضاً من مزاعم التأثر بالنحو الأجنبي فقد تشكك عدد من الدارسين العرب والمستشرقين في اصالته ونقائه , فذهب بعضهم الى تأثره بالنحو الفارسي على يد ابن المقفع وذهب آخرون الى تأثره بالنحو اليوناني على يد ابن المقفع وحنين بن اسحقاق وابنه اسحاق بن حنين وذهبت طائفة ثالثة الى تأثره بالنحو السرياني على يد يعقوب الرهاوي .

آراء بعض المستشرقين في تأثر النحو العربي بالنحو الاجنبي :

١- بعض المستشرقين ادّعوا ان النحو العربي تاثر باللغات الفارسية واليونانية من خلال ابن المقفع الذي ترجم كليلة ودمنة واسحاق ابن حنين وهؤلاء لا يمتُّون الى

الدراسة اللغوية وليس لهم صلة بالنحو العربي واصوات العربية والصوت والمعجم وانما هم ادباء .

٢- وذهب الدكتور ابراهيم بيومي أيضا الى تأثر النحو العربي بالنحو السرياني على يد يعقوب الرهاوي الذي كان و له شأنه في وضع النحو السرياني ، وقد اخذ جرجي زيدان بهذا المذهب .

٣- وهناك فريق توسط في ذلك ويقول : إنَّ النحو نشأ عربياً لكنه فيما بعد تأثر بالمنطق الارسطي والفلسفة ليونانية .

لكن الرأي الراجح ان النحو العربي نشأ نشأة عربية بدليل ذلك ما بدأ به ابو الاسود الدؤلي من نقط الاعراب , فضلا عن ذلك ما وقع من روايات نسبت الى عيسى بن عمر الثقفي وعبيد الله بن ابي اسحاق الحضرمي , فضلا عن ذلك التطور الذي حدث في مصطلح علامات الترقيم التي نشأة من من ذات اللغة لم تنشأ بتأثر الفكر اليوناني او الهندي او غيرها من اللغات الاخرى , وبدليل على ذلك اللغات التي ابتدعها الخليل لاتوجد في اللغات الاخرى كاللغة السنسكريتية القديمة لا توجد لديهم الضمة التي هي جزء من الواو والفتحة التي هي جزء من الالف والكسرة هي جزء من الياء كل هذه التطورات التي حدثت تدل على ان النحو عربي اصيل . ويمكن ان نقول ان النحو عربي اصيل وبعد الثالثة للهجرة تأثر بالمنطق الارسطي والفلسفة ونجد ذلك من خلال الحدود وكذلك المصطلحات والقواعد فظهرت مسائل لا تمت بصلة الى اللغة بسبب التأثر المنطقي.

كتب الموضوعات اللغوية المستقلة -: هي الكتب التي أستقلت بعد القرن الثالث للهجرة أي (متخصصة) وتوسعت هذه الدراسات بمرور الزمن وأخذت تستعد عن ميدانها الاول ألا و هو القرآن ، وصارت تطلب لذاتها، ويؤلف فيها مستقلة عن الدافع القديم دافع خدمة القرآن ، حتى تضائل وكاد يختفي في مثل كتب الحيوان والنبات وأشباههما .